تفسير ابن كثير

يقول تعالى لنبيه محمد صلى ا عليه وسلّم { قل للذين كفروا إن ينتهوا } أي عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة يغفر لهم ما قد سلف أي من كفرهم وذنوبهم وخطاياهم كما جاء في الصحيح من حديث أبي وائل عن ابن مسعود Bه أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال [من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والاخر] وفي الصحيح أيضا أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : الإسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما كان قبلها [وقوله { وإن يعودوا } أي يستمروا على ما هم فيه { فقد مضت سنة الأولين } أي فقد مضت سنتنا في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم أنا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة قال مجاهد في قوله { فقد مضت سنة الأولين } أي في قريش يوم بدر وغيرها من الأمم وقال السدي ومحمد بن إسحاق أي يوم بدر وقوله تعالى : { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله } قال البخاري حدثنا الحسن بن عبد العزيز حدثنا عبد ا بن يحيى حدثنا حيوة بن شريح عن بكر بن عمر عن بكير عن نافع عن ابن عمر أن رجلا جاء فقال : يا أبا عبد الرحمن ألا تصنع ما ذكر ا في كتابه { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا } الاية فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر ا في كتابه ؟ فقال : يا ابن أخي أعير بهذه الاية ولا أقاتل أحب إلي من أن أعير بالاية التي يقول ا D { ومن يقتل مؤمنا متعمدا } إلى آخر الاية قال : فإن ا تعالى يقول { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة } قال ابن عمر قد فعلنا على عهد رسول ا صلى ا عليه وسلّم إذ كان الإسلام قليلا وكان الرجل يفتن في دينه إما أن يقتلوه وإما أن يوثقوه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة فلما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد قال فما قولكم في علي وعثمان ؟ قال ابن عمر أما قولي في علي وعثمان أما عثمان فكان ا قد عفا عنه وكرهتم أن يعفو ا عنه وأما علي فابن عم رسول ا صلى ا عليه وسلّم وختنه وأشار بيده وهذه ابنته أو بنته حيث ترون وحدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا بيان أن ابن وبرة حدثه قال حدثني سعيد بن جبير قال : خرج علينا أو إلينا ابن عمر Bهما فقال كيف ترى في قتال الفتنة ؟ فقال : وهل تدري ما الفتنة ؟ كان محمد صلى ا عليه وسلّم يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس بقتالكم على الملك هذا كله سياق البخاري C تعالى وقال عبيد ا عن نافع عن ابن عمر أنه أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا : إن الناس قد صنعوا ما ترى وأنت ابن عمر بن الخطاب وأنت صاحب رسول ا صلى ا عليه وسلّم فما يمنعك أن تخرج ؟ قال يمنعني أن ا حرم علي دم أخي المسلم قالوا أو لم يقل ا { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله } ؟ قال قد قاتلنا

حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير ا وكذا روى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أيوب بن عبد ا اللخمي قال كنت عند عبد ا بن عمر Bهما فأتاه رجل فقال : إن ا يقول { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله } قال : قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير ا وكذا رواه حماد بن سلمة فقال ابن عمر : قاتلت أنا وأصحابي حتى كان الدين كله وذهب الشرك ولم تكن فتنة ولكنك وأصحابك تقاتلون حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير ا رواهما ابن مردويه وقال أبو عوانة : عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : قال ذو البطين يعني أسامة بن زيد : لا أقاتل رجلا يقول لا إله إلا ا أبدا فقال سعد بن مالك : وأنا وا لا أقاتل رجلا يقول لا إله إلا ا أبدا فقال رجل ألم يقل ا { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله } ؟ فقالا : قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله رواه ابن مردويه وقال الضحاك عن ابن عباس { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة } يعني لا يكون شرك وكذا قال أبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم وقال محمد بن إسحاق : بلغني عن الزهري عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا حتى لا تكون فتنة حتى لا يفتن مسلم عن دينه وقوله { ويكون الدين كله } قال الضحاك : عن ابن عباس في هذه الاية قال يخلص التوحيد وقال الحسن وقتادة وابن جريج { ويكون الدين كله } أن يقال لا إله إلا ا وقال محمد بن إسحاق : ويكون التوحيد خالصا ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الأنداد .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : { ويكون الدين كله } لا يكون مع دينكم كفر ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيحين عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم أنه قال] أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا ا فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على ا D [وفيهما عن أبي موسى الأشعري قال : سئل رسول ا صلى ا عليه وسلّم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل ا D ؟ فقال :] من قاتل لتكون كلمة ا هي العليا فهو في سبيل ا D [.

وقوله { فإن انتهوا } أي بقتالكم عما هم فيه من الكفر فكفوا عنه وإن لم تعلموا بواطنهم { فإن ا بما يعملون بصير } كقوله { فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم } الاية وفي الاية الأخرى { فإخوانكم في الدين } وقال { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين } وفي الصحيح : أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال لأسامة لما علا ذلك الرجل بالسيف فقال لا إله إلا ا فضربه فقتله فذكر ذلك لرسول ا صلى ا عليه وسلّم فقال لأسامة :] أقتلته بعد ما قال لا إله إلا ا ؟ وكيف تصنع بلا إله إلا ا يوم القيامة ؟ فقال يا رسول ا إنما قالها تعوذا قال [هلا شققت

عن قلبه ؟] وجعل يقول ويكرر عليه [من لك بلا إله إلا ا يوم القيامة ؟] قال أسامة حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ وقوله { وإن تولوا فاعلموا أن ا مولاكم نعم المولى ونعم النصير } أي وإن استمروا على خلافكم ومحاربتكم فاعلموا أن ا مولاكم وسيدكم وناصركم على أعدائكم فنعم المولى ونعم النصير وقال محمد بن جرير حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا أبان العطار حدثنا هشام بن عروة عن عروة أن عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء فكتب إليه عروة : سلام عليك فإني أحمد إليك ا الذي لا إله إلا هو أما بعد فإنك كتبت إلي تسألني عن مخرج رسول ا صلى ا عليه وسلّم من مكة وسأخبرك به ولا حول ولا قوة إلا با كان من شأن خروج رسول ا صلى ا عليه وسلّم من مكة أن ا أعطاه النبوة فنعم النبي ونعم السيد ونعم العشيرة فجزاه ا خيرا وعرفنا وجهه في الجنة وأحيانا على ملته وأماتنا وبعثنا عليها وأنه لما دعا قومه لما بعثه ا به من الهدى والنور الذي أنزل عليه لم يبعدوا منه أول ما دعاهم إليه وكانوا يسمعون له حتى إذا ذكر طواغيتهم وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال أنكر ذلك عليه ناس واشتدوا عليه وكرهوا ما قال وأغروا به من أطاعهم فانعطف عنه عامة الناس فتركوه إلا من حفظه ا منهم وهم قليل فمكث بذلك ما قدر ا أن يمكث ثم ائتمرت رؤوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين ا من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم فكانت فتنة شديدة الزلزال فافتتن من افتتن وعصم ا ما شاء منهم فلما فعل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول ا صلى ا عليه وسلّم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي لا يظلم أحد بأرضه وكان يثنى عليه مع ذلك وكانت أرض الحبشة متجرا لقريش يتجرون فيها وكانت مساكن لتجارهم يجدون فيها رفاغا من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا فأمرهم بها النبي A فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة وخافوا عليهم الفتن ومكث هو فلم يبرح فمكث بذلك سنوات يشتدون على من أسلم منهم ثم إنه فشا الإسلام فيها ودخل فيه رجال من أشرافهم ومنعتهم فلما رأوا ذلك استرخوا استرخاءة عن رسول ا A وعن أصحابه وكانت الفتنة الأولى : هي التي أخرجت من خرج من أصحاب رسول ا A قبل أرض الحبشة مخافتها وفرارا مما كانوا فيه من الفتن والزلزال فلما استرخى عنهم ودخل في الإسلام من دخل منهم تحدث باسترخائهم عنهم فبلغ من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول ا A أنه قد استرخى عمن كان منهم بمكة وأنهم لا يفتنون فرجعوا إلى مكة وكادوا يأمنون بها وجعلوا يزدادون ويكثرون وأنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير وفشا الإسلام بالمدينة وطفق أهل المدينة يأتون رسول ا A بمكة فلما رأت قريش ذلك توامروا على أن يفتنوهم ويشتدوا فأخذوهم فحرصوا على أن يفتنوهم فأصابهم جهد شديد فكانت الفتنة الاخرة فكانت فتنتان : فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة حين أمرهم النبي A بها وأذن لهم في الخروج إليها وفتنة : لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة ثم إنه جاء رسول ا A

من المدينة سبعون نقيبا رؤوس الذين أسلموا فوافوه بالحج فبايعوه بالعقبة وأعطوه عهودهم ومواثيقهم على أنا منك وأنت منا وعلى أن من جاء من أصحابك أو جئتنا فإنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا فاشتدت عليهم قريش عند ذلك فأمر رسول ا A أصحابه أن يخرجوا إلى المدينة وهي الفتنة الاخرة التي أخرج فيها رسول ا A أصحابه وخرج هو وهي التي أنزل ا D فيها { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله } ثم رواه عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عروة بن الزبير أنه كتب إلى الوليد يعني ابن عبد الملك بن مروان بهذا فذكر مثله وهذا صحيح إلى عروة C